الكتاب المشتمل على الترنيمة التي انّرت بالخاطئ. فقالت المسترس دالي: وانا لا أحرم نصيباً من اجر هذا العمل اذا كنت اوّل من فكر بالترنيمة وأغريتُ اغنيسة على انشادها. حينئذٍ قال الاب موراي: لقد احسنتم ايها الكرام في ما نطقتم ولا بد لي من ان أخص الاب فابر الذى نظم الانشودة بسهم فهو والحق يقال جدير بالنصيب الاوفر وانا أخشى يا اغنيسة ان لا يبقى لك الّا اليسير بهذا الاجر. ولكن اغنيسة تبسمت لهذا القول وشعرت بنفسها ان العلي قد استجاب دعاءها وكان قلبها يطفح عزاء وفرحاً

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٦ انتشار الامّة المارونيّة (تتمّة)

ولمّا كثر عدد الموارنة في القرون الثامن والتاسع والعاشر اخذوا شيئاً فشيئاً في الامتداد الى الجنوب واحتلّوا بلاد جبيل. وممّا يشهد على سكناهم في معاملتي جبيل والبترون مذ ذاك العهد عدّة كنائس سبق لنا وصفها في مقالتنا عن كنائس لبنان القديمة (راجع المشرق ٣: ١٨: ١٠). وقد لقي الموارنة في تلك النواحي قوماً من اصل البلاد كانوا يسكنون السواحل والوسوط. غير انّ عددهم لم يكن متوفرًا. وكان اكثرهم نصارى يتكلمون باللغة الآرامية ويقيمون فيها طقوسهم الدينيّة. وعندنا انّ هؤلاء الآراميين لم يلبثوا ان يمتزجوا بعد قليل بالموارنة امتزاج الماء بالراح كما امتزج بهم ايضاً بقايا المردة والجراجمة الذين تخلّفوا في لبنان. وكانت مهاجرة سكّان وادي الأرنط الى لبنان لا تزال متواصلةً متتابعة لزاحمة اليعاقبة واضطهادهم للموارنة

وكان الملكيّون مع هذا يقطنون بعض قرى لبنان في بلاد البترون وجبيل مثل

كفر شليان وحدتون (١ وبقسمايا (٢ ودوما والقرى المجاورة (٣ نحو كفور (٤ وغرزوز وغيرها. وكان الملكيّة في لبنان يتبعون آنئذٍ في فرائضهم الدينية طقس انطاكية اعني على الراجح ليتورجية القديس يعقوب التي ناقضها بعد ذلك البطريرك ثاودورس بلسمون (٥ واستبدلها بليتورجيّة القسطنطينيّة. وفي ما خلا ذلك لم يختلف الملكيُّون عن بقيّة الآراميين في اصلهم ولغتهم. وما لا ريب فيهِ انَّ الكتابات اليونانيّة لنصارى لبنان قليلة جدًّا لا يُعرف منها الّا كتابتان او ثلاث كتابات. امّا الكتابات التي تُرى على بعض الصور في سيّدة نايا بكفر شليان مخطوطةً باليونانيّة فليست هي للوطنيين وانّما كتبها مصوّرون بوزنطيُّون او مثّلها الوطنيُّون كما وجدوها في امثلةٍ بوزنطيّة قديمة

وبعض القرى التي كان يسكنها سابقًا الملكيُّون نراها بعد ذلك مأهولة بالموارنة. إمّا لانَّ الموارنة دخلوها فامتزج بهم الملكيون. واما لانَّ الملكيين هاجروها فانتقلوا الى امكنة غيرها او لاسباب نجهلها

وخلاصة الامر أنّنا اذا استثنينا اليهود نجد في تركيب الأمّة المارونيّة ما نجدهُ في تأليف جميع الامم التي تتركّب أصولها من عناصر شتّى. وكذلك الأمّة المارونية اذا اعتبرتَها في اواخر القرون المتوسّطة رأيتها تتألف من اصول مختلفة اوّلها واعظمها شأنًا الموارنة المهاجرون الى لبنان من سوريّة الشماليّة وسوريّة الوسطى ضوى اليهم قومٌ من الأُبّاق والطرداء الذين لاذوا بحمى المردة والجراجمة الباقين في لبنان فضلًا عمّا كان هناك من القطين الاصليين. فهذه العناصر كلُّها تمازجت بعد حين وصارت أمّةً كبرى ذات لغة واحدة وهيئة واحدة وغاية واحدة لا يمكن الآن اصحاب النظر مهما دقّقوا في البحث ان يفرزوا جنسيّاتها الاصلية

فاذا لحظنا نموّ الأمّة المارونيّة كما تقدّم واعتبرنا انَّ عدد المواليد يفوق كثيرًا عندهم

١) راجع في المشرق (٣: ١٠٢٣) مقالتنا السابقة عن هذين الحلين

٢) تاريخ الدوجيّ (ص ٢٠٧)

٣) منها كفر حلدا وقد وجدت فيها آثار ابنية للملكيين

٤) راجع كتاب خزائن الكتب في دمشق وضواحيها للاديب حبيب افندي زيّات (ص ١١٩ الخ) والمشرق (٥: ١٠٤ و ١٠٦)

٥) راجع المشرق (٣: ٢٧٢)

الوفيات لا نعود نستغرب ما ذكرهُ غليلموس الصوري في تاريخ الصليبيين حيث احصى الموارنة اربعين الفاً. وهذا الاحصاء الاجمالي ينطبق على ما رُوي في تواريخ الاعصار المتوسطة عن الموارنة انَّهم منتشرون في جهات طرابلس وبلاد البترون وجبيل والجبَّة الى نهر ابراهيم. وهو قول صحيح غالباً مع بعض شذوذ كما سترى قريباً عند ذكرنا لقوم من غير المسيحيين سكنوا في ايالات لبنان الواقعة شمالي نهر ابراهيم

ومما ورد ايضاً في التواريخ الصليبيَّة ذكر مقدَّم ماروني يدعى سمعان تولَّى عينتاب في شماليّ سوريَّة (١ ولا نعلم من اي فرقة من الموارنة كان أمن الذين في لبنان او ممَّن تخلَّفوا في بلاد العواصم. اما كونهُ من موارنة العواصم فاقرب الى الصواب

ونجد قبل هذا العهد قوماً من الموارنة في بلاد ما بين النهرين اشتهر منهم توفيل ابن توما الماروني المنجم الرهاوي قال ابن العبري في تاريخ الدول (ص ٢١٩ و٢٢٠) : «كان رئيس منجمي المهدي. . . . وكان على مذهب الموارنة الذين في جبل لبنان من مذاهب النصارى ولهُ كتاب تاريخ حسن ونقل كتابي اوميروس الشاعر على فتح مدينة ايليون فى قديم الدهر من اليونانيَّة الى السريانيَّة بغاية ما يكون من الفصاحة». وكذلك نجد فى عبر دجلة بين الموصل وبغداد جماعة من الموارنة ذكرهـا في القرن الثالث عشر الراهب ريكُلد دي مونكروا (Ricold de Montcroix) وروى ان لها مطراناً يدبّرها (٢. ولعلَّ قيساً الماروني المؤرخ الذي اسهب في ذكرهِ المشرق (٣: ٤٥١,٣٥٦,٢٦٥) كان من تلك الجماعة. وعلى كلّ لا نرى احداً من كتبة الموارنة ذكر هـذا المطران في ما وراء دجلة. وكل هذا دليل على انَّ في تاريخ الأمَّة المارونية اموراً عديدة لم يُحسر بعد عنها اللثام. ومن المحتمـل انَّ الكتبة سكتوا عن هذا المطران كما سكتوا عن غيرهِ لانَّ الاساقفة المارونيين كانوا مدَّة الاجيال السالفة كنوَّاب للبطرك ومعاونيهِ دون كرسي خاصّ. وانَّما جُعلت لهم مراكز منفردة في القرون المتأخرة فقط

---

١) راجع تاريخ مملكة اورشليم Röhricht : *Geschichte des Königreichs Jerusalem*, p. 220, note 6.

٢) راجع Quatremère :*Mémoire sur les Nabatéens*, p. 149

وكان القرنان الثاني عشر والثالث عشر قرنَيْ نهوض وترقٍ في لبنان. وفي ذلك العهد بُنيت كنائس عديدة على طرزٍ خاصّ تزينها الكتابات السريانيّة وفيها من نقوش الفسيفساء والتصاوير الملوّنة ما سبق وصفهُ (١. وفي هذه الابنية دليل على وفرة عدد اللبنانيين وهمّتهم ولم يزل ينمو هذا العدد ويتزايد حتى هاجر قسمٌ منهم الى النواحي المجاورة من فلسطين ولاسيّما القدس الشريف وكان لهم فيهِ عدّة كنائس (٢. وكذلك انتقلت منهم مستعمرات الى قبرس ثم رودوس. امّا قبرس فقد سكنوها منذ القرن الحادي عشر ونرى لهم في هذه الجزيرة ديرًا (٣ في تاريخ سنة ١١٢٠. وقد نموا نموًّا عظيماً حتى انهم كانوا يسكنون منها ثلاثين ضيعةً (٤ وكان يرعاهم مطران من طائفتهم. وكان بعضهم في مدن قبرس الكبرى وخصوصاً الماغوصة (٥ وكانت في ذلك العهد واسعة التجارة. امّا دخول الموارنة في رودس فنظنُّهُ انهُ جرى على عهد الفرسان المعروفين بالاسپيتلار (Les Hospitaliers) لمّا احتلُّوا تلك الجزيرة فتبعهم الموارنة. وكذلك ذهب قسمٌ منهم في القرن السادس عشر مع فرسان رودوس الى جزيرة مالطة ولحق بهم بعض من اخوانهم من موارنة قبرس في اواخر ذلك القرن. ولعلَّ وجود الموارنة في مالطة ممّا ساعد على حفظ العربيّة ونَشرها في تلك الجزيرة. ومن المعلوم انَّ اهل مالطة يتكلّمون باللغة العربيّة مشوبةً بالفاظ دخيلة من اللغات الاجنبيّة

امّا حلب فيظهر من نصٍّ لتوما الكفرطابي ورد في المشرق (٦ : ١١٨) ان الموارنة كانوا فيها منذ زمن قديم لكنَّ اخبارهم في الشهباء مجهولة الى القرن الخامس عشر حيث اتاهم مددٌ جديد من لبنان (راجع المشرق ٥ : ١٠٣٩ في الحاشية الثانية)

ولنعودنَّ الآن الى الموارنة المستوطنين لبنان فانّهم كانوا في نموٍ وازدياد يمتدُّون

---

١) راجع مقالاتنا عن كنائس لبنان القديمة

٢) المشرق ١ : ٩٣

٣) راجع سلسلة بطاركة الموارنة للدويهي (الطبعة الثانية ص ٢٣ الحاشية الاولى)

٤) راجع تاريخ قبرس L. Machéras : *Chronique de Chypre*, trad. f. 15,16

٥) وجاء في رحلة يعقوب دي برن (J. von Bern) سنة ١٣٤٦ انهُ وجد الموارنة في هذه المدينة يقيمون رتبهم على طريقة الروم. ولا نفهم ما يعني بذلك الّا انهُ يريد ان الموارنة كانوا يستعملون اليونانيّة في طقوسهم وهي لغة اهل الجزيرة ؟ فهذا ممكن

شيئاً فشيئاً في النواحي المجاورة. قال الدويهي: « وبسبب ما اشتهر بهِ لبنان اوانئذٍ من الامن والطمأنينة قصدهُ الناس من الاماكن البعيدة (١) » التي يهجرها المهاجرون الى قبرس وجزائر البحر المتوسط

ومع هذا النموّ لا نرى الأمّة المارونيّة تتقدّم الى الامام في القرنين الثالث عشر والرابع عشر. امّا لاجل مهاجرة قسم منها الى قبرس ورودس كما سبق وامّا لاجل الحروب التي انتشرت في كسروان في ذلك العهد فبقي الموارنة ما وراء نهر ابراهيم

وهنا لا بُدَّ من تكرار ما قلناهُ غير مرّة في مقالاتنا (٢ انَّ كسروان ليس من المقاطعات التي اوى اليها الموارنة قبل القرن الخامس عشر. وقد اوردنا نصًّا للادريسي ذكر فيهِ وجود اليعاقبة في جونية (المشرق ١٠١٨:١). وان سأل القارئ ومن كان يسكن اذن كسروان قبل هذا العهد. اجبنا انَّ معظم اهل هذه الناحية كانوا من المتاولة او من النصيريين. وكان النصيريّون قاطنين ايضاً في بعض جهات لبنان الشماليَّة كجهات البترون ونواحي المنيطرة والعاقورة (٣ لكنَّ عددهم الاوفر انَّما كان في كسروان. وقد ذكر صالح بن يحيى صاحب تاريخ بيروت (٤ الغزوات التي باشرها نوّاب الشام في ايّام السلطانين الملك الاشرف خليل بن قلاوون والملك الناصر محمّد بن قلاوون فحاربوا النصيريَّة في جبال كسروان ولم يزالوا يناجزونهم القتال حتى اخرجوهم من كسروان وجعلوا مكانهم قوماً من التركمان على الاقلّ في بعض النواحي وبقي كثير من المتاولة معهم. هذا وان اموراً كثيرة من تاريخ كسروان لا تزال مجهولة حتى يومنا. ألا أنّنا نعلم بلا ريبٍ انَّ النصارى لم يحتلّوا هذا الجبل قبل القرن الخامس عشر

ولما كانت اوائل القرن الخامس عشر جعل الموارنة يتجاوزون نهر ابراهيم ويصعدون الى كسروان. وكان انتشارهم فيهِ سريعاً حتى صارت هذه المقاطعة في القرن السابع عشر كلّها لهم. وامتدَّ من ثمَّ الموارنة الى مقاطعتي المتن والشوف. لكنَّنا نقف عند هذا الحدّ لئلّا ندخل في اخبار قريبة من عهدنا وليست غايتنا كما قلنا ان نسطّر تاريخ لبنان

١) راجع تاريخ الدويهي (ص ١٤٠)

٢) راجع المشرق (٥٦:١)

٣) ولنا في النصيريَّة مقالة افرنسيَّة جمعنا فيها كل ما يختص بآثار النصيريين واحوالهم وسمّاها باسم « النصيريَّة في لبنان » ونشرناها في مجلَّة الشرق المسيحي سنة ١٩٠٢

٤) راجع تاريخ بيروت (ص ٤٤–٥١)

بل ان نبيّن بوجه الاجمال كيف انتشرت الامّة المارونيّة. امّا تفاصيل اخبارها فليست الآن من شأننا وقد مرّ منها كثير في ابحاثنا السابقة وسنورد ان شاء الله غيرها في ما بعد (ستأتي البقيّة)

توفير السكّان بتقليل الموتان

لمحة صحيّة وطنيّة للدكتور امين افندي الجميّل

قال المسيو بروارديل رئيس مدرسة الطبّ الفخري في باريس: «انّ دعوة الطبيب لم تَعُدْ في الهيئة الجامعة دعوة شفاء فقط بل دعوة وقاية خاصّة». وهو كلام ينشط الاطبّاء ويبعث فيهم روح الغيرة ليتداركوا المرض قبل وقوعهِ وينشروا الفوائد الصحيّة المانعة من سَرَيان الادواء والاسقام. وقد سبق لنا في بعض مقالاتنا المدرجة في البشير وفي تقرير عرضناهُ آخرًا على دولة متصرف لبنان كلام في انماء عدد السكّان بطريقة الزواج وتوفير المواليد وتقليل المهاجرة آفة بلادنا المخيفة في الاوان الحاضر وذكرنا انّ لهذه الآفة دواء بفتح موارد للرزق وقد قيل: حيث ينبت رغيف ينبت رجل وذلك امّا باحياء الزراعة وانهاض الصناعة وترويج التجارة واما بتعزيز الآداب وتحبيب الوطن

واليوم غايتنا ان نبحث في مهاجرةٍ اشدّ خوفًا واسوأ مغبّةً تسوق الناس لا الى البلاد القاصية بل الى المقابر فنبيّن طرائق الوقاية منها او على الاقل كسر شوكتها وحصر مضارّها نزيد عدّة امراض يذهب كلّ سنة الوف من الناس ضحيّتها فيخلفون من بعدهم الحسرات. وهي امراض لو اتّخذ الاهلون بعض الوسائل السهلة لنجوا من بلاياها وآفاتها المجحفة وازداد عدد السكّان بتقليل الموتان

﴿ الجدري ﴾ انّ اوّل هذه الاسقام المضنية والعلل المفنية الجدري وكلٌّ يعلم ما لهذا الداء من الايادي السود في تاريخ بني آدم فانّهُ ملأ المقابر بفرائسهِ فضلًا عمّن شوّه محاسنهم. وكان الناس يخافون الجدري سابقًا اكثر من داء الهواء الاصفر. ولا غرو فانهُ كان اذا دخل بلدةً اوقف حركة الاشغال وعمّم الفقر ونشر الخراب والموت. وكان الاهلون يلتجئون لاستدراك شرّهِ الى آفة من جنسهِ فكانوا يعمدون الى صديد